ذكريات عن الأيام الأولى في دولة الإمارات وعُمان

تأليف: ادوارد هندرسون
ترجمة: عائدة باتي خوري وآخرون
عرض: د: سعيد بن محمد الهاشمي *

في مطلع عام ١٩٩١م نشرت مؤسسة موتيف ايت للنشر بدولة الإمارات العربية المتحدة كتاب: «ذكريات عن الأيام الأولى في دولة الإمارات وعُمان» تأليف: «إدوارد هندرسون». وترجمة: «عائدة باتي خوري وآخرون». وقد نشر هذا الكتاب بلغته الأصلية الانجليزية عام ١٩٨٨م في بريطانيا.

وبادىء ذي بدء يحدو بي أن أقدم للقارىء الكريم تعريفا بمؤلف هذا الكتاب الذي أقبلت على قراءته بلهفة المستطلع. فالمؤلف هو إدوارد هندرسون بريطاني الجنسية وصل إلى دولة الإمارات عام ١٩٤٨ كممثل لشركة نفط العراق. وتلقى المؤلف تعليمه في كل من كلية «تليفتون» وكلية »براسينوز» و«اكسفورد» حيث حصل على شهادة جامعية في التاريخ الحديث. وجاء أول مرة إلى الشرق الأوسط عام ١٩٤١م مع الجيش البريطاني وبعد الحرب العالمية الثانية التحق في الفيلق العربي بالأردن وفلسطين ثم رجع إلى الجيش البريطاني الذي أعاده إلى حيفا ثم بعدها انضم إلى شركة نفط العراق وعمل ممثلا لها في الساحل العماني وعُمان وظل في عمله منذ عام ١٩٤٨م حتى نقل إلى الخارجية البريطانية في ١٩٥٦م ثم عين معتمدا للخارجية في قطر ثم سفيرا لبلاده في قطر أيضا.

وبعد تقاعده من الخارجية عام ١٩٧٤م عاد إلى (أبو ظبي) للعمل في مركز الوثائق والأبحاث التاريخية في دولة الإمارات. وفي عام ١٩٨١ عاد إلى لندن حيث عمل كرئيس لمجلس تطوير التفاهم العربي البريطاني ثم انتقل بعدها إلى واشنطن حيث قضى عاما ونصف العام مع

---

* مدرس بكلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس

مجلس التعليم الأمريكي وكان عمله الأساسي إلقاء المحاضرات عن الشئون العربية في الجامعات الأمريكية ثم عاد إلى دولة الإمارات في عمله السابق في (أبو ظبي).

أما الكتاب الذي قدمنا مؤلفه فهو يبحث في قصة البحث والتنقيب عن البترول في دولة الإمارات المتحدة وسلطنة عمان. ويكتسب هذا الكتاب أهمية كبيرة من حيث إن مؤلفه يعد شاهد عيان ومشاركا في النواحي السياسية التي سبقت الاكتشاف وساهم في كثير من تذليل الصعاب التي واجهت شركات البترول من قبل الامتيازات أو ظروف الحياة.

فالكتاب يضم ٢٣١ صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على ١٢ فصلا، ومقدمة وخاتمة.

والكتاب أهدي إلى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ورافق هذا العمل عدد من الصور الفوتوغرافية التي ضمها المؤلف إلى كتابه.

وقدم لهذا الكتاب سعادة أحمد خليفة السويدي وجاء فيه: «إنني على ثقة تامة من أن العلماء والدبلوماسيين وغيرهم سيجدون في هذه المذكرات كل الفائدة والمتعة.

كما مهد لهذا الكتاب أيضا ديفيد روبرتس الذي كان سفيرا لبريطانيا في الإمارات في الفترة (١٩٧٧ ـ ١٩٨١) وقد كان قبل ذلك وكيلا سياسيا في الإمارات في الفترة (١٩٦٦ ـ ١٩٦٨) وقد أعجب بهذا الكتاب فهو جدير بالثناء.

تطرق المؤلف في الفصول الأولى إلى وصف منطقة الساحل المهادن كما رآه في عام ١٩٤٨م وفي الفصل الرابع تحدث عن كيفية التحاقه بشركة النفط وأهداف الشركة، أما في الفصول اللاحقة فقد تحدث المؤلف عن الصعاب التي واجهت الشركة في الدخول إلى عُمان.

الفصل الأول: الإمارات المتصالحة قبل النفط:

وصف المؤلف حالة دولة الإمارات العربية المتحدة قبل النفط بأنها كانت عبارة عن مساحة كبيرة من الرمال والسبخات برزت عليها هنا وهناك شجيرات صغيرة. أما المناطق الداخلية فتمتاز بالكثبان الرملية على شكل منحنيات متناسقة تنكسر وتتفرق في أماكن أخرى. ثم تحدث عن قبيلة بني أياس وتاريخ المنطقة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ودور الإنجليز في القرن التاسع عشر وربط هذه الإمارات بمعاهدات معها ثم انتقل إلى وصف دبي ومبانيها وأسواقها ووصف مقر شركة نفط العراق صاحبة الامتياز في التنقيب عن البترول في المنطقة ثم تحدث عن كيفية استقبال زواره في هذا البيت وقد زاره أول مرة الرحالة البريطاني ويلفر ثيسنجر وقد ذكر المؤلف أنه رافق ويلفر إلى الشيخ شخبوط بمدينة أبو ظبي في رحلة بحرية.

ويقدم الكاتب في **الفصل الثاني** نموذجا من العلاقة بين الحاكم والمحكوم في المدن وفي القرى فهو يعطي صورة حية عن علاقة القبائل بالشيخ وكيف أن حاكم (أبو ظبي) الشيخ شخبوط يستقبل رعاياه ويقف عند هذا وذلك وكيف يتوافدوا إلى معسكره خلال رحلات الصيد ويعرفنا أن الحكام يفتحون مجالسهم لكل شخص ويصغون باهتمام إلى متطلباتهم ويحلون مشاكلهم.

ويستكمل المؤلف حديثه عن البناء القبلي في **الفصل الثالث** فهو يشرح العلاقات التي تربط التنظيم القبلي في المنطقة وهو تنظيم جيد ويقول: إن كل هذه التنظيمات منبعثة من تعاليم الإسلام وأنها لم تختف منذ ألف سنة، فلو عاد البدوي اليوم إلى البدوي الذي عاش قبله بألف عام يستطيع أن يتفاهم معه. وأوضح المؤلف النظام الأساسي للقبيلة ورئاستها ومهام هذه الرئاسة وكيفية الولاء والبيعة التي تتم للشيوخ ثم أتى الكاتب بمثال واضح وهو عن قبيلة آل نهيان وعن بعض الشيوخ العمانية وقد زار الكاتب كثير من الشيوخ.

كما أن المؤلف ختم هذا العمل بذكر خصائص البناء القبلي والتي أهمها نظام الرقيق ونظام الوسم الذي توسم به الحيوانات لتتميز عن حيوانات القبيلة الأخرى وهو خاص بالإبل، كما يقول إن القبائل العمانية قد مارست نظام الحكم الذاتي لقرون غابرة وهذا النظام من السهل ممارسته في القبائل الكبيرة والصغيرة.

الفصل الرابع كان بعنوان: خلفية التنقيب عن النفط ودور المؤلف فيه:

ففي بداية هذا الفصل يتحدث المؤلف عن قصة حياته في الجيش وكيفية التحاقه به كمتطوع في الخدمة في الشرق الأوسط حيث كان حظه أنه أرسل إلى سوريا. ويقول إنه تسنى له أن يطلع على حياة سكان الجبال وكذلك البدو وأنه كان تحت قيادة ويلفر ثيسنجر الرحالة المعروف في الربع الخالي ثم إن الكاتب انتقل إلى الصحراء الغربية بمصر وبعدها عاد إلى بريطانيا ثم أرسل في الجيش إلى فرنسا. وبعد عودته من فرنسا التحق بالفيلق العربي بالأردن وذلك بمساعدة جالوب باشا القائد البريطاني المشهور في الفيلق العربي. ثم إن الجيش البريطاني احتاج إليه لكي يرسله إلى حيفا عام ١٩٤٨، والمؤلف يعترف بأنه كان في غاية التعاسة والبؤس في حيفا وذلك لأن الجيش البريطاني كان يسلم حيفا لليهود ولأن معظم العرب قد طردوا منها تحت ضغط اليهود وقسوتهم وذلك خلال فترة لا تزيد عل ٢٤ ساعة من يوم ٢١ و٢٢ أبريل ١٩٤٨.

وقد كان المؤلف صريحا فيما يتعلق باليهود حيث يقول في صفحة ٥٦ «كان علينا أن نقدم

لليهود وغيرهم من الذين أطلق سراحهم من المعتقلات في ألمانيا مكانا في المملكة المتحدة ولكي نجعل هذا الأمر أسهل بالنسبة لنا كان علينا أن نقنع أو على الأقل نحاول أن نقنع الأمريكيين والفرنسيين أن يفعلوا نفس الشيء في بلادهم، وقد شعرت جديا أننا كنا مخطئين في منح أرض يسكنها العرب من زمن ما قبل التاريخ والتي هي في كل الأحوال ليست ملكا لنا لنمنحها من يشاء».

وفي شهر أغسطس ١٩٤٨ عاد المؤلف إلى بريطانيا وفي أكتوبر من نفس العام تسلم عمله في دبي كممثل لشركة نفط العراق في الإمارات بالإضافة إلى مسئوليات خاصة في مسقط وعمان.

ثم يتحدث المؤلف عن الصعوبات التي واجهته في المنطقة حيث إن الإمارات كانت عبارة عن مشيخات متفرقة لكل منها علاقة معاهدة مع بريطانيا، أما في سلطنة عُمان فقد كان السلطان سعيد بن تيمور الحاكم الأعلى، إلا أن جزءا من عُمان تحت حكم إمام أباضي بموجب اتفاقية السيب عام ١٩٢١ (الصحيح كانت هذه الاتفاقية عام ١٩٢٠) بالإضافة إلى بعض القبائل التي كانت تطالب ببعض الامتيازات حتى تسمح بأعمال التنقيب عن البترول في أقاليمهم وإن كان السلطان تعهد للشركة بتذليل كل الصعاب. وينهي المؤلف هذا الفصل بوصوله إلى دبي أول مرة وإقامته في مقر الشركة بهذه المدينة ثم يسترسل في وصفها ووصف ما حولها.

الفصل الخامس: البدء بالتنقيب:

في هذا الفصل يصف المؤلف رحلته الأولى من دبي إلى البريمى وصفا دقيقا كما وصف واحة البريمى وولاء القبائل القاطنة بها ويذكر أن الشيخ صقر بن سلطان النعيمي هو شيخ التميمة في المنطقة ويمثل السلطان في البريمى كما يذكر أنه أول مرة كان يقابل حاكم العين الشيخ زايد بن سلطان.

وفي **الفصل السادس** بعنوان: التنقيب يستمر: يستهله المؤلف بالحديث عن مقابلته للشيخ صقر بن سلطان الذي يوصف بالثعلب العجوز. ووصفه بأنه كان قاسيا وكيف أن هذا الثعلب استطاع أن يرتب اجتماعا بين ممثل الشركة وشيوخ القبائل، حيث عقدت عدة جلسات حول وصول الجيولوجيين والتنقيب عن البترول واستغرقت هذه الجلسات عشرة أيام انتهت بموافقة الشيوخ على التنقيب مقابل زيادة المبالغ التي ستدفع لهم أكثر مما اتفقت عليه الشركة مع السلطان.

ثم إن المؤلف عاد إلى دبي ومنها إلى مسقط بصحبة الجيولوجيين لتقديم الولاء والاحترام للسلطان سعيد بن تيمور فوصف المؤلف الطريق الذي قطعه من دبي مرورا بوادي الجزى

وساحل الباطنة حتى وصوله إلى مسقط وصفا دقيقا وذكر أن عدد الأوروبيين في مسقط عام ١٩٤٨م كانوا ٩ أشخاص وكان منهم مدير البنك والقنصل البريطاني. ثم رجع المؤلف من مسقط إلى البريمى مصحوبا بممثل لحكومة السلطان سعيد وكان اسمه يوسف. ويذكر المؤلف أنه عانى الكثير من الصعاب في عبور وادي الجزى إلى البريمي.

ويتابع حديثه حيث أخذ الجيولوجيون في التنقيب عن البترول في واحة البريمى وحين فشلوا في العثور على النفط أرادت الشركة أن تتجه إلى الجنوب في أراضي الدروع لكن سلطنة القبائل أعاقت خططهم فاستقر الرأي على أن يذهب المؤلف إلى مسقط لكي يقنع السلطان بإرسال وزير داخليته السيد أحمد بن ابراهيم الذي وصل إلى الظاهرة وذلل بعض الصعوبات لكن التنقيب توقف في العمل في منطقتي البريمى والظاهرة مع استمراره في أراضي دولة الإمارات.

وقد جاء **الفصل السابع** بعنوان: **وقفة ما بين الحملات الاستكشافية** وصف فيه المؤلف رحلاته البحرية من دبي إلى مسقط وصفا دقيقا ولم يقتصر الوصف على المركب الذي يستقله بل وصف الموانيء والجزر البحرية التي مر عليها. ثم انتقل المؤلف إلى وصف جزيرة (أبو ظبي) وكيف استطاع المؤلف أن يمد جسرا بين هذه الجزيرة والبر ويختم هذا الفصل يذكر النزاع القائم بين السعودية وعُمان حول ما عرف في الخمسينيات من هذا القرن بالنزاع حول البريمي، ثم كيف استطاعت شركة نفط العراق أن تقنع السلطان سعيد بأنه لا يمكن أن يستمر التنقيب عن البترول في الشمال بل لا بد أن يبدأ العمل من الجنوب وحددت منطقة الدقم كنقطة البداية، وأبرمت بهذا الخصوص اتفاقية جديدة مع السلطان.

أما **الفصل الثامن** فقد خصصه الكاتب **للحملة الاستكشافية الثانية** وتحدث فيه المؤلف عن استعداده لاستئناف التنقيب من منطقة الدقم، ويشرح المؤلف الاستعدادات التي هيئتها الشركة وحكومة السلطان لهذا الغرض حيث جهز السلطان فرقة عسكرية مكونة من ٤٠٠ رجل لمتابعة الحملة كحرس. وكانت الشركة تخطط لأن يمتد نطاق التنقيب إلى وادي العميري غربا لكن السلطان سعيد رفض ذلك، فجاء الفصل التاسع بعنوان: إنزال ونكسة حيث إن الكاتب يهدف من هذا العنوان أن الشركة نزلت في منطقة الدقم ووجدوا كل الترحيب من قبائل الجنبه خصوصا حين رافقهم من صور الشيخ سالم بن ناصر الفارسي وزارهم السلطان سعيد هنالك وعند مغادرته أرسل برقية بتاريخ ١٨ من مارس ١٩٥٤ إلى المؤلف يحدد له منطقة التنقيب وهي منطقة الدقم وجدة والجراسيس لهذا خاب أمل الشركة وأطلق المؤلف على العنوان نكسة.

ثم إن المؤلف عرج إلى ذكر أحوال عُمان الداخلية فذكر وفاة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وانتخاب الشيخ غالب بن علي الهنائي كإمام لعُمان ومن عُمان الداخل إلى الظاهرة حيث تطرق إلى ذكر الأحوال السياسية لمدينة عبرى التي كانت عاصمة للظاهرة الجنوبية ومركزا تجاريا حيويا لقبائل المنطقة، ويقول المؤلف إن من يسيطر على عبرى يملك ناصية المنطقة خصوصا قبيلة الدروع. فالمؤلف يرى أن خضوع الدروع للسلطان سعيد يسهل من أمر التنقيب عن النفط في منطقة الفهود وهذا لا يتم إلا إذا خضعت عبرى للسلطان.

ثم تحدث المؤلف أيضا في هذا الفصل عن رحلاته من الدقم إلى الشارقة ومسقط وذكر أنه أشرف على رصف مطاري بيت الفلج وصلالة، وكيف استطاع أن يقابل شيوخ الدروع في مسقط ويناقش معهم التنقيب في أراضيهم. لكن أمرا طارئا حدث في عبرى حيث هجم الإمام غالب على عبرى واستولى عليها، وهذا لم يعجب الدروع وكذلك شيخ عبرى محمد بن عبد الله اليعقوبي ولأنهم كانوا غير راضين بسلطة الإمام عليهم، هرعوا إلى الشارقة لمقابلة المؤلف لكي يخرجهم من هذا المأزق وأبدوا استعدادهم لقبول سلطة السلطان والتنقيب عن البترول فأصبحت الظروف نفسها مهيأة لكي تخدم الشركة.

على أية حال يذكر المؤلف أن شيوخ الدروع قابلوا المؤلف وكان بصحبتهم الشيخ سلطان بن سيف الحوسني واستقلوا طائرة إلى الدقم حيث عقدوا اجتماعا هناك مع مسئولي الشركة وقوة السلطان المرافقة للشركة وانتهى بهم الأمر إلى أن يتحركوا غربا إلى أراضي الدروع ويراقبوا الوضع في عبرى فوافق الجميع على ذلك.

وتحركت الحملة في صباح يوم ١٩ من اكتوبر ١٩٥٤ إلى فهود ويختم هذا الفصل بوصول الحملة وقادتها إلى وادي العميري حيث يستكمل المؤلف الأحداث في الفصل العاشر تحت عنوان: **المحاولة الثانية** وحين وصلوا إلى فهود يذكر المؤلف أن شيوخ الدروع ألحوا على قادة الشركة بالتحرك نحو عبرى والمحافظة على قرية تنعم وهي مسقط رأس الدروع الأمر الذي وضعهم في مأزق حرج، لأن أهداف الحملة كانت فقط لمراقبة الوضع.

ويتابع المؤلف حديثه عن هذا المأزق حيث وصلوا إلى اقتناع بأنه لا بد من المحافظة على تنعم نظرا لأن شيوخ عبرى والدروع معهم، وانتهى الأمر إلى التحرك إلى تنعم على الرغم من أن السلطان سعيد أرسل إليهم برقية عبر الراديو يمنعهم من مهاجمة تنعم وعبرى والسليف.

شرح المؤلف كل الاستعدادات ووضعوا خططا للهجوم على عبرى وتفصيل ذلك جاء في الفصل **الحادي عشر** وهو: **بداية ونهاية**.

حيث تحدث المؤلف في هذا الفصل عن دورهم في إخضاع مدينة عبرى وما حولها وكيف استطاعوا أن يطردوا قوة الإمام غالب التي كانت تحت إمرة سفيان بن محمد الراشدي دون إراقة دماء ثم كيف استطاع المؤلف أن يقنع شيوخ القرى التابعة لعبرى أن يعلنوا ولاءهم للسلطان ويرفعوا رايته على منازلهم وكل هذه العمليات كانت على غير رضى من السلطان سعيد دون أمر منه.

ويذكر المؤلف أن الشيخ زايد بن سلطان وأخاه هزاع زارا عبرى ليشاركا فرحة أهل عبرى بالانتصار. ويعترف المؤلف أنه لولا شجاعة وبسالة الشيخ سلطان الحوسنى لما كان هذا الانتصار حيث إنه يمثل السلطان في هذه العمليات.

أما **الفصل الثاني عشر** فيخصصه المؤلف للأحداث التي جرت في البريمى عام ١٩٥٥م، ويقول المؤلف إن شتاء ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م يعد الحد الفاصل في تغير طريقة حياته.

حيث ذكر أنه عندما عاد من عُمان إلى دبي تلقى أوامر نقله إلى البحرين ومنها إلى العراق لكي يتدرب ليكون خبيرا في شئون النفط ولكن وجد نفسه في ضيق وغير قادر على هذا العمل ففكر في تقديم استقالته لكن قبل أن يفعل ذلك تلقى أوامر بالعودة إلى البحرين وأسند إليه مسألة البريمى والنزاع القائم عليها، حيث إن السلطان والحكومة الإنجليزية قررتا طرد الحامية السعودية من البريمى.

ويتابع المؤلف حديثه حيث يقول حين وصلت إلى البريمى وجدت أن الجيش قد طرق البريمى وأن رئيس الحامية السعودية قد أسر ولم يبق سوى السكان الذين كانوا يدافعون عن البريمى خصوصا النعيم فاستطاع أن يتفاهم مع أصدقائه الشيوخ على أن يعلنوا وقفا لإطلاق النار وعقد عدة اجتماعات مع الشيوخ انتهت إلى أن الشيخ صقر بن سلطان والشيخ راشد الشامسى فضلا الرحيل إلى السعودية وبهذا أعلن وقف النار ودخلت القوات العمانية البريطانية البريمى وبذلك أسدل الستار على هذه القضية.

ويختتم المؤلف كتابة **بخاتمة** ذكر فيها أحواله بعد مغادرته البريمى وكيف عمل بالخارجية البريطانية عام ١٩٥٦م وتدرج في المناصب حتى عودته مرة أخرى إلى (أبو ظبي) لكي يكون مسئولا عن مركز التوثيق والأبحاث التاريخية.

مما سبق يتضح لنا أن كتاب ادورد هندرسون من الكتب التي يجب أن تقرأ بعناية فائقة حيث إنه يعالج قصة التهافت على البترول في دولة الإمارات المتحدة وسلطنة عمان. كما يصور لنا الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن الأحوال السياسية في قالب يتفق مع الواقع كما يدعونا إلى إعادة النظر في مسألة البريمى التي عولجت من قبل الكتاب العرب بشيء من التحيز

ودون رؤية واقعية، كذلك مسألة سلطة السلطـان سعيد على القبائل العمانية حيث نسب إلى هذا الرجـل أعمال لم تكن بـأمره ولا عـن رضى منـه، ويؤخـذ على المؤلف أنـه كان يفتقـر إلى تحليل القضايا ويغلب عليه الطابع الوصفي فهو ينتقل من موضوع إلى آخر دون مقدمة وخاتمة، ثم أنه كان يعطى أسماء أعلام مبهمـة فهو يكتفي بذكر الإسم الأول كالشيخ سـالم وابنه مطر والسائق محمد وممثل السلطان يوسف ونادرا يذكر اسم الشخص ومركزه الاجتماعي.

ويـذكر المؤلـف نفسه أن وظيفتـه ممثـل سياسي للشركـة ومـع ذلك نجـد أن الشركة تعقـد اتفاقيات مع السلطان دون أن يعرف هو شيئا عنها.

وأخيرا نرى أن هذا الكتاب مهـم لتاريخ المنطقة لأن المؤلف قد صنع أحداثـا كان هو سببها وشارك في كثير من الأمور وأنه فوق هذا وذلك وصـف حالة المنطقة وصفا دقيقا في جميع أوجه الحياة ثم وقف عن كثب متفرجا على ما صنعـه تدفق النفط في هذه المنطقة وكيف تغيرت أحوال المعيشة في المنطقة مع العلم أن تدفق النفط لم يتم على يد المؤلف.

***